مثارات التدبر عند المفسرين
الطبري أنموذجًا

دكتور/عقيل بن سالم الشمري
الأستاذ المشارك للقرآن وعلومه- كلية الآداب
جامعة حفر الباطن

المستخلص بحث (مثارات التدبر عند المفسرين. الطبري أنموذجًا)

فكرة البحث الرئيسة هي دراسة المواطن القرآنية التي يثير عليها المفسرون أسئلةً تدبرية، ووقع الاختيار على الطبري رحمه الله لكونه إمام المفسرين . **وسلكت منهج** التحليل لكلام الطبري عند الآيات التي أثار عليها الطبري أسئلة تدبرية .

والهدف من الدراسة : إبراز مثارات التدبر لتطبيقها على بقية آيات القرآن الكريم .

وأبرز النتائج التي توصل لها البحث هي: أن مثارات التدبر عند المفسرين كثيرة، ومنها :

التكرار ، والتقديم والتأخير، والتخصيص اللفظي، والحذف، والاختلاف في ألفاظ الآية بين الجمع والإفراد، والاختلاف في صيغة الفعل مابين ماضٍ ومضارع ومستقبل وغير ذلك .

وأوصى البحث : بدراسة موسعة لمثارات التدبر عند المفسرين .

الكلمات المفتاحية: مثارات- التدبر – المفسرين – الطبري.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد :

فإن أفضل ما بُذلت به الأعمار العيش مع كتاب الله وتدبره، إذ هو الغاية التي أُنزل لها القرآن، وقد بذل المفسرون جهدهم في إثارة الأسئلة التي تعين القارئ على تدبر القرآن، وكتب التفسير مليئة بتلك الأسئلة التدبرية، ويلاحظ القارئ أن المفسرين رحمهم الله يختلفون في المواطن التي يثيرون عليها سؤالًا تدبريًا إلا أن هناك مواطن لا يتجاوزونها غالبًا، فوقع اختياري على بحثٍ بعنوان (**مثارات التدبر عند المفسرين. الطبري أنموذجًا**)، حسب ما يلي:

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

١- الكشف عن المواطن التي يثير عليها المفسرون أسئلةً تدبرية .

٢- معرفة المنهجية التي سار عليها المفسرون في اختيار المواطن التدبرية دون غيرها.

٣- بيان الدور المهم للشخصيات العلمية والكتب التفسرية التي اعتنت بأسئلة التدبر ومثاراته .

أسئلة البحث : وهي :

١- ما المراد بمثارات التدبر ؟

٢- ما أبرز الوسائل التي يستعملها المفسرون لإثارة الأسئلة التدبرية ؟

٣- ما هي أشهر مواطن المثارات التدبرية خلال الآيات القرآنية ؟

أهداف البحث: يهدف البحث لتحقيق ما يلي:

١- إيضاح معنى مثارات التدبر القرآنية .

٢- بيان أثر المثارات التدبرية على معاني الآيات القرآنية .

٣- الكشف عن مواطن المثارات التي يثيرها المفسرون على الآيات القرآنية.

الدراسات السابقة:

لم أجد حسب التتبع مَن أفرد موضوع مثارات التدبر عند المفسرين بالبحث، وهناك أبحاث مفيدة، ومنها : أسئلة الإمام الطبري في الفاتحة جمعًا ودراسة د.ماجد الحارثي، وقد جمع فيها الباحث أسئلة الإمام الطبري في سورة الفاتحة، سواء الأسئلة التي تتعلق بالتدبر أو اللغة أو القراءات وغيرها . وبهذا يختلف عن البحث الذي أقدمه حيث أنني خصصته بالأسئلة التي تتعلق بإثارة التدبر .

منهج البحث : سلكتُ المنهج الاستقرائي لكلام الإمام الطبري والتحليل لاستخلاص النتائج.

اجراءات البحث : سلكتُ المنهج التحليلي لكلام الإمام الطبري وسرت حسب ما يلي:

١ــ جردتُ أسئلة الطبري في تفسيره، واستخلصت منها كان له تعلق مباشر بالتدبر .

٢ــ صنفت تلك الأسئلة إلى مثارات على سبيل التمثيل لا الحصر .

٣ــ عزوت الآيات إلى مواضعها .

٤ــ خرجت الأحاديث من كتب السنة مع قلة ما ورد في البحث بسبب طبيعته، مع تقديم ما ورد في الصحيحين على غيرهما .

٥ــ جمعت نصوص أهل المدرسة التأويلية، مع تحليل تلك النصوص .

٦ــ عرفت بالأسماء الواردة في البحث ممن هو من أصحاب المدرسة التأويلية، مع ذكر أشهر مؤلفاتهم .

٥ــ إثبات علامات الترقيم وفق قواعد الفن .

خطة البحث: وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى مقدمة وتمهيد ثم عشرة مطالب ثم خاتمة كما يلي:

التمهيد : ويشتمل على :

أولًا : تعريف المثار للغة .

ثانيًا : تعريف المثار اصطلاحًا

ثالثاً: تنبيهان يتعلقان بمنهج الطبري في المثارات التدبرية .

رابعًا : العلاقة بين مثارات التدبر وتثوير القرآن

المطلب الأول: مثار التكرار

المطلب الثاني: مثار التخصيص اللفظي

المطلب الثالث : مثار الاختلاف اللفظي في الآية الواحدة

المطلب الرابع: مثار التقديم والتأخير في كلمات القرآن

المطلب الخامس: مثار الحذف

المطلب السادس: مثار الآيات المُشكل ظاهرها

المطلب السابع : مثار التوكيد اللفظي

المطلب الثامن : مثار خواتيم الآيات

المطلب العاشر: مثار الآيات المعترضة بين آيات الموضوع الواحد

الخاتمة: وفيها بيان خلاصة البحث .

سائلًا الله الإعانة والتوفيق، هو ولي ذلك، نعم المولى .

التمهيد، وفيه أربعة أمور كما يلي :

أولًا: تعريف المثار لغةً

المثار لغة:

أثارَ يُثير، أثِرْ، إثارةً، فهو مُثير، والمفعول مُثار، ومثار الشَّيْء بِالْفَتْح: مدركه ومنشؤه[1]، وأثرت التراب فأنا أثيره إثارة: إذا بحثته وحثوته ونشرته، فأنا مثير، والتراب مثار[2]، وترجع معانيه في اللغة إلى عدة معان[3] :

١ــ أثارَ الشَّيءَ: هاجه، أعاده مرَّة بعد مرَّة، وأثار انتباهه: لفت نظره .

٢ – نَشَرَه ودَفَعَه: ومنه قوله تعالى:{يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا} [فاطر:٩].

٣ــ التقليب والحرث: ومنه أثار الأرضَ: أي قَلَبها وحرثها للزراعة، ومن قوله تعالى:{وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا} [الروم:٩] ، ومن خلال هذه الأوجه اللغوية يتبين لنا المعنى الاصطلاحي كما يلي .

ثانيًا: تعريف المثار اصطلاحًا

لم أجد من عرَّف المثارات اصطلاحًا، لكن يمكن من خلال ما سبق أن يقال :

المثارات اصطلاحًا : هي البحث في منشأ التدبر من خلال ألفاظ الآية القرآنية .

العلاقة بين التعريفين:

العلاقة بين التعريفين ظاهرة، فإثارة الشيء إهاجته مرة بعد مرة هو ما يفعله المتدبر مع ألفاظ الآية الكريمة، ويكون ذلك بتقليب النظر فيها كما يقلب الأرض للزراعة، ويكون ذلك ببيان بلفت الانتباه .

وعليه : فالمفسر حينما يفسر الآيات القرآنية، ثم يثير أسئلة تدبرية عليها، فما الذي جعله يثير سؤالًا على هذه اللفظة دون غيرها؟! فالبحث سيكون في المواطن التي لفتت انتباه المفسرين أثناء تدبرهم للآيات القرآنية، ومنهم الإمام الطبري الذي أخترته ليكون مجالًا للبحث والتطبيق.

ثالثاً: تنبيهان يتعلقان بمنهج الطبري في المثارات التدبرية

قبل أن أذكر مثارات التدبر يحسن أن أنبه على أمرين يتعلقان بمنهج الإمام الطبري وجدته بعدما يسر الله جرد تفسيره وحصر الأسئلة التي أثارها حول الألفاظ القرآنية، وهما:

---

١ ــ الكليات ، ص٨٧٤ .

٢ ــ إسفار الفصيح للهروي، ص٤٦٥ .

٣ ــ معجم اللغة المعاصرة، ٣٣٥/١ .

التنبيه الأول: تفسير المعنى قبل التدبر

من المناهج التي حافظ عليها الطبري رحمه الله أنه يقدم تفسير الآية على تدبرها، فإذا انتهى من تفسير الآية، يثير عليها عددًا من الأسئلة لإثارة التدبر، وباستطاعتك مطالعة تفسير الطبري فلن تجده قد أخلَّ بهذا المنهج ولا في موضع واحد، ويؤخذ من ذلك أن التدبر فرع التفسير وبيان المعنى، فلن يكون التدبر صحيحًا إلا إذا كان المعنى صحيحًا. وهذا يكشف مقدار حجم الخطأ الذي يقع فيه بعض المتدبرين في تقديمهم التدبر على بيان المعنى ووضوح الآية القرآنية، ومن هنا أصبح تقديم التدبر على بيان المعنى يؤصل للخطأ في التدبر من خلال أحد الأوجه:

١ــ أن يكون التدبر باطلًا؛ لكون معنى الآية بُني على معنى باطل، وهذا كثيرٌ عند الأقوال البدعية العقدية الباطلة .

٢ــ أن يكون التدبر خطأ لكون معنى الآية لم يكتمل، وهذا غالبًا في التدبر الذي بُني على القول المرجوح .

٣ــ أن يكون التدبر صحيحًا لكنه لا يتعلق بلفظ الآية، وهذا غالبًا يكون في التدبر الذي بُني على سابقٍ ذهني .

التنبيه الثاني : مواطن إثاره التدبر

يقرأ المفسر الآية القرآنية، ثم يفسرها، ثم ينظر إلى بعض ألفاظها ويثير عليها أسئلة، ومن أولئك المفسرين الإمام الطبري رحمه الله، وهناك عدة أسئلة :

١ــ هل يثير الطبري أسئلة على جميع ألفاظ الآية؟ أو بعضها ؟

٢ــ إذا كان الطبري يثير أسئلة على بعض الألفاظ فهل يثير أسئلة على ما يشابه تلك المواطن في الآيات الأخرى، فمثلًا : لما فسَّر الطبري سورة الفاتحة اثار عليها عدة أسئلة، ومنها:

"فإن قال لنا قائل: ولم قدم اسم الله الذي هو الله على اسمه الذي هو الرحمن، واسمه الذي هو الرحمن على اسمه الذي هو الرحيم؟"[١]

فنلاحظ أن الطبري أثار سؤالًا على هذين الاسمين، ولم يثر مثله على تقديم الله على الرب في الآية قبلها : {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: ٢] .

وبعض ما يثيره الطبري في موقع يصح تطبيقه في موضع مشابه، ومن ذلك أنه أثار سؤالًا على كلمة (الحمد) فقال : "فإن قال قائل: وما وجه إدخال الألف واللام في الحمد؟

---

١ ــ تفسير الطبري ١/١٣٢ .

وهلا قيل: حمدا لله رب العالمين، قيل: إن لدخول الألف واللام في الحمد معنى لا يؤديه قول القائل حمدا، بإسقاط الألف واللام؛ وذلك أن دخولهما في الحمد منبئ على أن معناه: جميع المحامد والشكر الكامل لله. ولو أسقطتا منه لما دل إلا على أن حمد قائل ذلك لله"[1].

هذا الموضع الذي ذكره الطبري يصح تطبيقه على المواضع الأخرى الذي ذكر فيها الحمد لله كبداية سورة الأنعام : **[الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ]** [الأنعام:١] . وبداية سورة الكهف **[الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا]** [الكهف: ٢] .

فالخلاصة أن المفسرين ومنهم الطبري يثيرون أسئلة على بعض ألفاظ الآية دون بعضها، ثم يجيبون عن تلك الأسئلة، وبعض اجاباتهم يصح تطبيقها في ما شابه ذلك الموضع من القرآن، ولم أجد ضابطًا في الألفاظ التي يثيرون عليها أسئلة دون غيرها، إلا أن يكون حسب ما يشد انتباه المفسر، وهذا أمرٌ نسبي يختلف فيه المفسرون .

أما المواطن التي يكثر المفسرون من إثاره الأسئلة عليها، فهو ما أبينه في هذا البحث .

ثالثاً:العلاقة بين مثارات التدبر وتثوير القرآن

ثبت عن ابن مسعود ﷺ قوله : «إِذَا أَرَدْتُمُ الْعِلْمَ فَأَثِيرُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّ فِيهِ خَبَرَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»[(٢)].

ومعنى تثوير القرآن لا يخرج عن معنى الإثارة التي ذكرت في المعنى اللغوي، والمراد به: تقليب الأوجه التي تحتملها الآية، والبحث في معانيها، وسيرة ابن مسعود ﷺ صاحب تُفسر هذا الأثر، فقد قضى عمره في تعليم القرآن واستنباط أحكامه، ووُصف ﷺ بأنه صاحب فطنة، وفسرها الذهبي بقوله : "كان معدودًا في أذكياء العلماء"[3]، وكانت له علاقة خاصة بالقرآن فهو أول من جهر بالقرآن بمكة، وأول من قرأ القرآن عن ظهر قلب .

وقد حَدَّثَ هو عن نفسه فقال : "قال عبد الله: والذي لا إله غيره، لقد قرأت من في رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بضعا وسبعين سورة، ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الإبل لأتيته"[٤].

---

١ ــ تفسير الطبري ١٣٧/١ .

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد، ص(٩٦)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد): «رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح».

٣ ــ سير أعلام النبلاء ٤٦٦/١ .

٤ ــ أخرجه البخاري (٢٠٠٥) .

ولو أَثَرْنا سؤالاً على هذا الأثر وهو : هل يا تُرى تفرَّد ابن مسعود ﷺ بمعرفة معاني الآيات من بين الصحابة؟ هل كان غير ابن سعود لا يعرف معاني القرآن؟ إذن لماذا يريد ابن مسعود السفر لمعرفة معاني القرآن مادام هو يعرفها ؟ إن ابن مسعود يريد هنا تثوير معاني الآيات وإثارة معانيها واستنباط الأحكام والعبر منها، واستنطاق قوانين الكون التي أودعها الله في القرآن . **وعلى هذا فمثارات التدبر وسيلة لإثارة القرآن وجزءٌ منها .**

المطلب الأول: مثار التكرار

إذا مرت آية فيها لفظة متكررة فإن هذا من مثارات التدبر عند الإمام الطبري، فبعد أن يفسرها يثير سؤالًا على تلك الكلمة التي تكررت، ثم يجيب عنه، ومما وجدته للطبري رحمه الله أنه يثير أسئلة تدبرية عند التكرار من خلال الأنواع التالية :

١ــ تكرار لفظة في آية : وهي على نوعين :

أــ تكرار لفظة في الآية مرتين : وهذا كقوله تعالى : **{إِيَّاكَ نَعبُدُ وَإِيَّاكَ نَستَعِينُ}**[سورة الفاتحة:٥]، فنلاحظ أن لفظة إياك تكررت مرتين، فأثار الطبري على هذا التكرار سؤالًا فقال: "**فإن قال: فما وجه تكراره: {إياك} مع قوله: {نستعين} وقد تقدم ذلك قبل نعبد؟ وهلا قيل: إياك نعبد ونستعين، إذ كان المخبر عنه أنه المعبود هو المخبر عنه أنه المستعان؟** "[١] .

وقد أجاب بجواب يدل على تضلعه بلغة العرب، مفاده: أن القرآن جاء على أفصح الأوجه؛ لأن الكاف التي مع (إيا) هي الكاف التي كانت تتصل بالفعل لو كانت مؤخرة بعد الفعل في قولنا (نعبدك)، وكان الأفصح إعادتها مع كل فعل اتصلت به، فيقال: اللهم إنا نعبدك ونستعينك ونحمدك ونشكرك؛ وكان ذلك أفصح في كلام العرب من أن يقال: اللهم إنا نعبدك ونستعين ونحمد؛ فكذلك إذا تقدمت كان الأفصح إعادتها مع كل فعل ، فكان الأفصح على ما جاءت به الآية الكريمة (إياك نعبد وإياك نستعين)[٢].

ب ــ تكرار المعنى دون اللفظ :

ومن ذكر تكرار اسم الرحمن الرحيم، فقال الطبري رحمه الله : " فإن قال قائل: فإذا كان الرحمن والرحيم اسمين مشتقين من الرحمة، فما وجه تكرير ذلك وأحدهما مؤد عن معنى الآخر؟"[٣] .

وخلاصة جوابه أنه نفى التكرار هنا، وإن كان يظهر تقارب الاسمين، "فلكل كلمة منهما معنى لا تؤدي الأخرى منهما عنها، فمن جهة العربية فلا تمانع بين أهل المعرفة بلغات العرب أن قول القائل الرحمن عن أبنية الأسماء من فعل يفعل أشد عدولا من قوله الرحيم ففي كلمة (الرحمن) من زيادة المعنى على قوله (الرحيم)[٤].

---

١ تفسير الطبري (١/ ١٦٥)

٢ تفسير الطبري (١/ ١٦٥)

٣ ــ تفسير الطبري (١/ ١٢٦).

٤ ــ المصدر السابق مختصرًا (١/ ١٢٦).

٢ــ تكرار جملة : بأن يتكرر لفظ جملة مرتين أو أكثر، ومن أمثلة ذلك :

تكرار جملة (ولله مافي السموات ومافي الأرض) أربع مرات في سورة النساء ، فأثار الطبري رحمه الله عليها سؤالًا تدبريًا فقال عند قوله تعالى : {وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ١٣١} [سورة النساء:١٣١] {وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٣٢} [سورة النساء:١٣٢] "فإن قال قائل: وما وجه تكرار قوله: {ولله ما في السنوات وما في الأرض} في آيتين إحداهما في إثر الأخرى؟

قيل: كرر ذلك لاختلاف معنى الخبرين عما في السموات والأرض في الآيتين، وذلك أن الخبر عنه في إحدى الآيتين ذكر حاجته إلى بارئه وغنى بارئه عنه، وفي الأخرى حفظ بارئه إياه به وعلمه به وتدبيره.

فإن قال: أفلا قيل: وكان الله غنيا حميدا وكفى بالله وكيلا؟

قيل: إن الذي في الآية التي قال فيها: {وكان الله غنيا حميدا} [النساء: ١٣١] مما صلح أن يختم ما ختم به من وصف الله بالغنى وأنه محمود ولم يذكر فيها ما يصلح أن يختم بوصفه معه بالحفظ والتدبير، فلذلك كرر قوله: {ولله ما في السموات وما في الأرض}"[١].

ومقتضى كلامه رحمه الله أن سبب ذلك يعود لسياق الآية، فلما كان سياق الآية الأولى فيه الوصية بالتقوى، وفي حال الإعراض عن التقوى واختيار الكفر فإن الله غنيٌ عنكم وله مافي السموات وما في الأرض، فعباده غيركم أيها المعرضون كثير، بينما في الآية الثانية، ذكر حاجة العبد إلى ربه وأن الله له ما في السموات والأرض فلا يستغني العبد عن كفالة ربه له .

وقد أراد الفخر الرازي رحمه الله أن يجعل للمتدبر قاعدة يرجع إليها حال التكرار، فتكلم عن الأوجه في تكرار قوله تعالى : {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} [البقرة:١٤٩] فلما ذكر الوجه الرابع وخلاصته : أن هذه الآية وإن تشابهت مع غيرها في اللفظ إلا أن لكل منها متعلق غير الآية الأخرى، "فالآية الأولى قُرنت بإكرام الله للقبلة التي يحبها أهل الكتاب، والآية الثانية مقرونةٌ بالتعميم بأن كل صاحب دعوة وملة له قبلةٌ يتوجه إليها؛ فتوجهوا أنتم إلى أشرف الجهات، والآية الثالثة مقرونةٌ بقطع

١ تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٧/ ٥٨٢).

الله تعالى حجة من خاصمه من اليهود في أمر القبلة"[1]، ثم قال الرازي : "وهذا التكرار في هذا الموضع كالتكرار في قوله تعالى: {فبأي آلاء ربكما تكذبان} [الرحمن: ١٢]، وكذلك ما كرر في قوله تعالى:{إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين} [الشعراء: ١٧٤] . فنلاحظ أن الرازي أعطى منهجًا لكل تكرار في القرآن بأنه مقترن بالسياق .

فالخلاصة أن كل تكرار لفظي أو معنوي يكون مثارًا للتدبر، فيراعي السياق أحيانًا، وأحيانًا أخرى يعالج ذلك بلغة العرب وفصاحتها، فيمكن تطبيق طريقة الطبري والرازي وغيرهم على غير هذه الأمثلة مما يجعل ذهن المتدبر متمرسًا على ذلك .

المطلب الثاني: مثار التخصيص اللفظي

من يطالع كتب التفسير يلاحظ عناية خاصة بالتخصيص المتعلق بالألفاظ، فكثيرًا ما يثير الطبري سؤالًا عن سبب تخصيص هذا اللفظ دون غيره، وتخصيص هذا الوصف دون غيره من الأوصاف، وهذا العضو دون غيره من سائر الأعضاء وهكذا، ثم يجيب عن هذا التساؤل بما يفتح بابًا في التدبر، وحسب ما وقفت عليه في التفسير الطبري فيمكن تقسيم ذلك إلى :

أـ تخصص عضو دون سائر الأعضاء :

كقوله تعالى: قال الله تعالى: **{ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً }** [سورة الإسراء:١٣] قال الطبري : "فإن قال قائل: وكيف قال: ألزمناه طائره في عنقه ولم يقل: ألزمناه في يديه ورجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد؟ قيل: لأن العنق هو موضع السمات، وموضع القلائد والأطوقة، وغير ذلك مما يزين أو يشين"[2].

وما ذكره الطبري رحمه الله هنا نستطيع أن نطبقه على جميع ما ورد في القرآن مما يماثله، فإذا وردت آية فيها تحديد السمع أو البصر أو القلب أو اليد أو الرجل أو الوجه أو غيرها نثير عليها ما أثاره الطبري من السؤال التدبري. وبالنظر للسياق نستطيع أن نتلمس اللطيفة التدبرية لذلك كما فعل الطبري رحمه الله .

ومثله تخصيص السمع والبصر في قوله تعالى: **{ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** [البقرة: ٢٠].

---

١ ــ التفسير الكبير ١١٩/٤ .

٢ تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٤/ ٥٢١).

بين الإمام الطبري رحمه الله السبب الذي من أجله خُصصت السمع والأبصار دون غيرها من الجوارح بأنه مراعاة سياق الآيات قبلها، كقوله : **{يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ }**، وقوله : **{يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ}** فجرى ذكرها في الآيتين على وجه المثل[١].ووافقه على ذلك ابن عطية[٢]، والقرطبي[٣] إلا أنه زاد وجهًا آخر وهو : كون السمع والبصر أشرف الأعضاء.

وخالف في ذلك البغوي فقال : "**{وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ}** الظَّاهرة كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة، وقيل: لذهب بما استفادوا من العز والأمان الذي لهم بمنزلة السمع وَالبصر"[٤]، فيكون عند البغوي التناسب بين المجاز والحقيقة، وهو قد جعل ذهاب السمع والبصر بمنزلة ذهاب العز والأمن، فكأن العز يقابل السمع؛ لأن الشخص العزيز يسمع المدح والثناء، كما قابل بين الأمان والبصر؛ لأن الأمان يستلزم نوم العين واستقرارها، وهذا الوجه المذكور مع جماله إلا أن فيه تكلفًا .

ويحتمل مناسبةً أخرى وهي : أنه لما وضع المنافقون أصابعهم في آذانهم حال الرعد خوفًا من الموت، بيَّن الله أن هذا ليس بنافعٍ لهم، ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم فغيرمنقذٍ لهم فعلهم أمام غضب الله، ففيه بيان ضعف العبد وفقره وذله .

ومن تخصيص الأعضاء ما جاء في قوله تعالى : **{بلى من أسلم وجهه لله} [البقرة: ١١٢]** فما سر تخصيص إسلام الوجه لله دون سائر الجوارح؟ فلم يعلق الطبري ذلك بالسياق إنما جعل السر لكون الوجه " أكرم أعضاء ابن ادم وجوارحه، وهو أعظمها عليه حرمة وحقًا، فإذا خضع لشيء وجهه الذي هو أكرم أجزاء جسده عليه فغيره من أجزاء جسده أحرى"[٥].

ومثله كذلك : تخصيص اليد في قوله تعالى: **{وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}** [سورة البقرة:٩٥] فقال الطبري : "قال: وإنما قيل ذلك بإضافته إلى اليد؛ لأن عظم جنايات الناس بأيديهم، فجرى الكلام باستعمال إضافة الجنايات التي يجنيها الناس إلى أيديهم حتى أضيف كل ما عوقب عليه الإنسان مما جناه بسائر أعضاء جسده إلى أنها عقوبة على ما جنته يده"[٦].

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٣٨١/١).

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (١٠٤/١).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٢٤/١).

(٤) انظر: معالم التفسير في تنزيل القرآن، البغوي (٧١/١).

٥ ــ تفسير الطبري، جامع البيان، ط هجر، (٤٣٢/٢).

٦ تفسير الطبري، جامع البيان، ط هجر، (٢/ ٢٧٤).

ويمكن تطبيق منهج الطبري رحمه الله على مثيلاتها من الآيات كتخصيص الأبصار بالخشوع دون غيرها في قوله تعالى : **{خُشَّعًا أَبصَٰرُهُمۡ يَخرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَاد مُّنتَشِر}** [سورة القمر:٧] .

ب ــ تخصيص وصف دون سائر الأوصاف :

١ــ قال الله تعالى: **{ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدى لِّلۡمُتَّقِينَ}** [سورة البقرة:٢]

فأثار الطبري سؤالًا تدبريًا حول تخصيص وصف المتقين دون غيرهم فقال : "فإن قال لنا قائل: أوما كتاب الله نورا إلا للمتقين ؟

قيل: ذلك كما وصفه ربنا عز وجل، ولو كان نورا لغير المتقين، ورشادا لغير المؤمنين لم يخصص الله عز وجل المتقين بأنه لهم هدى، بل كان يعم به جميع المنذرين؛ ولكنه هدى للمتقين، وشفاء لما في صدور المؤمنين، ووقر في آذان المكذبين، وعمى لأبصار الجاحدين. وحجة لله بالغة على الكافرين؛ فالمؤمن به مهتد، والكافر به محجوج"[١].

والملاحظ أن الطبري يعمم لفظ التقوى فيجعلها رديفًا للإيمان، ولا يخصها بمنزلة التقوى المعروفة في أعمال القلوب، وهذا لأن الألفاظ إذا افترقت اجتمعت في المعنى . ولو خصصنا الآية بمنزلة التقوى القلبية الخاصة فسيكون في الآية إشارة إلى علاقة التقوى بالقرآن، فزاد التقوى والإيمان هو كتاب الله وفقهه ومعرفة معانيه .

وعن سر تخصيص وصف أهل العقول في قوله : تعالى: **{وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰة يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ} البقرة:١٧٩** .قال الطبري : "وخص الله تعالى ذكره بالخطاب أهل العقول؛ لأنهم هم الذين يعقلون عن الله أمره ونهيه ويتدبرون آياته وحججه دون غيرهم"[٢] . ووافقه على ذلك عدد من المفسرين الذين وقفتُ عليهم[٣] .

ومن الأمثلة أيضًا ما ذكره من تخصيص الذين يوقنون في قوله تعالى: **{وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ}** [سورة البقرة:١١٨] فقال : "خص الله بذلك القوم الذين يوقنون؛ لأنهم أهل التثبت في الأمور، والطالبون معرفة حقائق الأشياء على يقين وصحة"[٤]. وغير ذلك من الأمثلة[٥].

---

١ تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١/ ٢٣٤)

٢ تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٣/ ١٢٣).

٣ ــ منهم الرازي في التفسير الكبير ٢٣٠/٥، والخازن في تفسيره ١٠٨/١، والتحرير والتنوير ١٤٥/٢، وتفسير الشوكاني ٢٠٣/١، وتفسير السعدي، ص٨٤ .

٤ تفسير الطبري (٤٧٩/٢).

٥ ــ كتخصيص الذين يعلمون في قوله : (لآيات لقوم يعلمون) . انظر: تفسير الطبري (٤/ ١٧٧-١٧٨)

ج ــ تخصيص لفظ دون لفظ :

وهي من أنواع التخصيصات التي أهتم بها الطبري ويمكن جعلها أحد مثارات التدبر، فيثير سؤالًا تدبريًا عن سبب تخصيص لفظ دون غيره من الألفاظ ، ومن ذلك تخصيص الختم بالقلوب مع أنه خاص بالأوعية والظروف، فقال في قوله تعالى: **{خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٞ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم}** [سورة البقرة:٧]

فإن قال لنا قائل: وكيف يختم على القلوب؟ وإنما الختم طبع على الأوعية والظروف والغلف، قيل: فإن قلوب العباد أوعية لما أودعت من العلوم وظروف لما جعل فيها من المعارف بالأمور، فمعنى الختم عليها وعلى الأسماع التي بها تدرك المسموعات، ومن قبلها يوصل إلى معرفة حقائق الأنباء عن المغيبات، نظير معنى الختم على سائر الأوعية والظروف"[1].

وفي الآية أسئلة في التخصيص لم يتعرض لها الطبري وهي مثارٌ للتدبر مثل : سبب تخصيص القلوب دون غيرها ؟ سبب إفراد السمع وجمع القلوب والأبصار؟ سبب تكرار حرف الجر (على) ؟ سبب تقديم القلوب ثم الأسماع ثم الأبصار؟ فهذه الأسئلة وغيرها يمكن أن نطبق عليها منهجية الطبري في أسباب التخصيص ، والمقصود في البحث بيان أن التخصيص مثار من مثارات التدبر .

المطلب الثالث : مثار الاختلاف اللفظي في الآية الواحدة

والمراد به أن يكون في الآية لفظةٌ بالإفراد والجمع، أو لفظة بالماضي وأخرى بالمستقبل، وغير ذلك من الاختلافات في ذات الآية الواحدة، فالمفسر غالبًا يجعل ذلك من مثارات التدبر، ويذكر سر الاختلاف في ذلك، والطبري يثير على هذا الاختلاف سؤالًا تدبريًا ثم يجيب عنه ، ولهذا المثار عدة أنواع وقفتُ عليها في تفسير الطبري، منها:

أــ الاختلاف بين الإفراد وجمع :

بأن تأتي لفظة في الآية بلفظ الإفراد وأخرى بالجمع، والتركيب يقتضي اتحادهما إما بالإفراد أو الجمع، ولم يخالف بين هذا إلا للطيفية تدبرية، ومن ذلك قوله تعالى: **{ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ ١٧}** [سورة البقرة:١٧] قال الطبري : "فإن قال لنا قائل: وكيف قيل: {مثلهم كمثل الذي استوقد نارا} [البقرة: ١٧] وقد علمت أن الهاء والميم من قوله: {مثلهم} كناية

---

١ تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١/ ٢٦٥)

جماعة من الرجال أو الرجال والنساء. و(الذي) دلالة على واحد من الذكور؟ قيل: أما تمثيل الجماعة من المنافقين بالمستوقد الواحد، فإنما جاز لأن المراد من الخبر عن مثل المنافقين الخبر عن مثل استضاءتهم بما أظهروا بألسنتهم من الإقرار وهم لغيره مستبطنون من اعتقاداتهم الرديئة، وخلطهم نفاقهم الباطن بالإقرار بالإيمان الظاهر. والاستضاءة وإن اختلفت أشخاص أهلها معنى واحد لا معان مختلفة. فالمثل لها في معنى المثل للشخص الواحد من الأشياء المختلفة الأشخاص. وتأويل ذلك: مثل استضاءة المنافقين بما أظهروه من الإقرار بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به قولا وهم به مكذبون اعتقادا، كمثل استضاءة الموقد نارا"[1]. فهذا يدل على أن فائدة ذلك هي الإخبار بأن حال المنافقين واحدٌ لا يتغير، وأما ابن كثير فقد جعل ذلك التفاتًا، لأنه أفصح في الكلام وأبلغ في النظام[2] .

وفي الآية نفسها يجيب الطبري عن سبب الاختلاف بين توحيد (سمعهم) وجمع (أبصارهم)[3]، ومثل ذلك كلام الطبري عن الاختلاف في قوله: **{لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}** [لقمان: ١٩] حيث وحَّد الصوت وجمع الحمير، وهذا من مثارات التدبر عند المفسرين غالبًا فقال القرطبي رحمه الله : "ووحد الصوت وإن كان مضافا إلى الجماعة لأنه مصدر والمصدر يدل على الكثرة"[4]، بينما قال أبو السعود : "لما أنَّ المرادَ ليس بيانَ حالِ صوتِ كلِّ واحدٍ من آحادِ هذا الجنسِ حتى يُجمعَ بل بيانَ حالِ صوتِ هذا الجنسِ من بينِ أصواتِ سائرِ الأجناس"[5]، بينما أرجع الطاهر بن عاشور الأمر إلى مراعاة الفواصل، فقال : "وإنما أوثر لفظ الجمع لأن كلمة الحمير أسعد بالفواصل لأن من محاسن الفواصل والأسجاع أن تجري على أحكام القوافي"[6] .

وهذا المبحث أيضًا يجعلنا نثير أسئلة تدبرية عن أمرٍ مقارب لهذا مع اختلاف بين المبحثين، وهو أن تذكر الآية الفرد بلفظ الجماعة كما في قوله : **{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ}** [آل عمران: ١٧٣] . وكذلك تذكر الجماعة بلفظ الفرد كما في قوله : **{وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ}**[سورة الفجر:٢٢]. ولا تخلو كتب التفسير من لطائف تدبرية تفتح آفاق التدبر حول هذا الاختلاف، وليس ذلك من قصدنا في هذا البحث

---

١ تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١/ ٣٣٢ -٢٣٤).

٢ ــ تفسير ابن كثير ١٨٧/١ .

٣ ــ تفسير الطبري ٣٨١/١ .

٤ ــ تفسير القرطبي ٧٢/١٤ .

٥ ــ تفسير أبي السعود ٧٣/٧ .

٦ ــ التحرير والتنوير ١٦٩/٢١ .

إنما قصدنا التنبيه على مثار من مثارات التدبر، بأن يكون القارئ للقرآن والمتدبر له على تفطنٍ لتلك الاختلافات .

ب ــ الاختلاف في صيغة الفعل بين مضارع ومستقبل وماضٍ:

اختلاف صيغ الفعل في الآية من مثارات التدبر عند المفسرين وعند الطبري خصوصًا، فقد أثار سؤالًا على قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُم ءَامِنُواْ بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَينَا وَيَكفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُۥ وَهُوَ ٱلحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُم قُل فَلِمَ تَقتُلُونَ أَنبِيَاءَ ٱللَّهِ مِن قَبلُ إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ ٩١} [سورة البقرة:٩١]، فقال الطبري رحمه الله:" فإن قال قائل: وكيف قيل لهم: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبلُ﴾ فابتدأ الخبر على لفظ المستقبل، ثم أخبر أنه قد مضى؟" وبعد أن ذكر وجه ذلك في العربية ذكر فائدة هذا الاختلاف فقال: "وليس الذين خوطبوا بالقتل هم القتلة، إنما قتل الأنبياء أسلافهم الذين مضوا، فتولوهم على ذلك ورضوا فنسب القتل إليهم"[١]، فكان الواجب على اليهود التبرؤ مما فعله أسلافهم.

وقد لاحظ هذا التغاير بصيغة الفعل الطاهر بن عاشور في قوله : {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} [المائدة:٧٨] .فقال الطاهر : "وإنما عبر في جانب العصيان بالماضي لأنه تقرر فلم يقبل الزيادة، وعبر في جانب الاعتداء بالمضارع لأنه مستمر، فإنهم اعتدوا على محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب والمنافقة ومحاولة الفتك والكيد"[٢].

ومثله في الاختلاف بين زمن الفعل قوله تعالى : {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت:٣٥] . فالأمر بالصبر جاء بالماضي، والتلقِّي جاء بالمضارع " للدلالة على أن الصبر خُلُق سابق فيهم هو العون على معاملة المسيء بالحسنى ، ولهذه النكتة عدل عن أن يقال : إلا الصابرون ، لنكتة كون الصبر سجية فيهم متأصلة"[٣] .

المطلب الرابع: مثار التقديم والتأخير في كلمات القرآن[٤]

"كلما كان الأسلوب محكم البناء، جيد السبك والرصف، قد أخذت فيه كل كلمة موقعها، كلما جاد اللفظ وأبان المعنى"[٥]، ومن هنا كان للتقديم والتأخير أكبر الأثر في وضوح المعنى، والملاحظ أن الإمام الطبري رحمه الله يثير أسئلةً تدبريةً على تقدم بعض

---

١ تفسير الطبري، جامع البيان، ط هجر، (٢/ ٢٥٧).

٢ ــ التحرير والتنوير ٩٣/٦، وقريبًا منه قال أبو السعود في تفسيره ٦٩/٣ .

٣ ــ التحرير والتنوير ٢٩٥/٢٤ .

٤ ــ للتوسع في موضوع التقديم والتأخير يراجع كتاب : المقدم والمؤخر في القرآن الكريم ، د.علي جريد العنزي .

٥ ــ دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، منير محمود المسيري، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ه ، ص٤٣.

الكلمات القرآنية على بعض، ثم يجتهد في إيجاد الوجه التفسيري لذلك ، فكان التقديم والتأخير في كلمات القرآن من مثارات التدبر عنده، ومن ذلك قوله : " فإن قال لنا قائل: ولم قدم اسم الله الذي هو الله على اسمه الذي هو الرحمن، واسمه الذي هو الرحمن على اسمه الذي هو الرحيم؟

قيل: لأن من شأن العرب إذا أرادوا الخبر عن مخبر عنه أن يقدموا اسمه، ثم يتبعوه صفاته ونعوته، فبدأ الله جل ذكره باسمه الذي هو الله؛ لأن الألوهية ليست لغيره جل ثناؤه بوجه من الوجوه، لا من جهة التسمي به، ولا من جهة المعنى... ثم ثنى باسمه الذي هو الرحمن، إذ كان قد منع أيضا خلقه التسمي به، وإن كان من خلقه من قد يستحق تسميته ببعض معانيه؛ وذلك أنه قد يجوز وصف كثير ممن هو دون الله من خلقه ببعض صفات الرحمة، فلذلك جاء الرحمن ثانيا لاسمه الذي هو الله. وأما اسمه الذي هو الرحيم فقد ذكرنا أنه مما هو جائز وصف غيره به، والرحمة من صفاته جل ذكره، فكان إذ كان الأمر على ما وصفنا واقعا مواقع نعوت الأسماء اللواتي هن توابعها بعد تقدم الأسماء عليها"[1].

فالطبري جعل الترتيب في الآية مبنيًا على اختصاصها بالله من عدمه، فما كان مختصًا به دون سواه قُدِّم على ما سواه .

والماوردي[2] والزمخشري لهما رأي آخر فقال الزمخشري: "قلت: لما قال الرَّحْمنِ فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها، أردفه الرَّحِيمِ كالتتمة والرديف ليتناول ما دقَّ منها ولطف"[3]، ومع أن هذا الوجه أهمل سر تقديم اسم الجلالة على الرحمن وعلى الرحيم إلا أنه نظر إلى صيغة فَعَلان التي هي أبلغ من فعيل، وعمومًا قال الألوسي: "للعلماء في هذا الترتيب كلام كثير "[4]، ولنعلم أنه حال تدبرنا في اكتشاف سر من أسرار القرآن فعلينا أن نَكُدَّ أذهاننا في التأمل والتفكير لنأتي بأرقى الأوجه اللائقة بكتاب الله، وقد يكون ذلك بمجموع الأوجه، فمن ذا الذي يستطيع حصر أسرار القرآن العزيز؛ لأن دائرة التدبرات والاستنباطات أوسع من دائرة المعاني، وكان القصد هو لفت الانتباه إلى مثار من مثارات التدبر وهو تقديم بعض الألفاظ على بعض.

---

١ تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١/ ١٣٢)

٢ ــ النكت والعيون ٥٢/١ .

٣ ــ الكشاف ٨/١ .

٤ ــ روح المعاني ٦٥/١ .

وفي سر تقديم العبادة على الاستعانة في سورة الفاتحة يقول الطبري :" أن العبادة لا سبيل للعبد إليها إلا بمعونة من الله جل ثناؤه...فيعتدل في صحة الكلام تقديم ما قدم منهما قبل صاحبه أن يكون موضوعا في درجته ومرتبا في مرتبته"[1]. وأوضح ذلك ابن القيم فقال : "وتقديم العبادة على الاستعانة في الفاتحة من باب تقديم الغايات على الوسائل إذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها، والاستعانة وسيلة إليها"[2] .

ووافق أغلب المفسرين ما ذكره الطبري مع اختلاف في العبارة، منهم الطاهر ابن عاشور[3]، ومثله قال السعدي : "قدمت العبادة تقديمًا لحقه سبحانه"[4] .

وتقديم بعض الكلمات على بعض له فوائد أخرى، كما قال الطبري رحمه الله في سر تقديم إسماعيل على إسحاق لكونه أسنَّ منه عمرًا، في قوله تعالى:**{ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}** [سورة البقرة:١٣٣] قال الطبري : "قيل: إنما قدم ذكر إسماعيل على إسحاق لأن إسماعيل كان أسن من إسحاق[5].

والطبري رحمه الله لم يذكر ضابطًا له في اختيار الألفاظ التي يثير عليها سؤال التقديم أي أنه لم يثر سؤالًا على تقديم (أنعمت عليهم) على (المغضوب عليهم) ، وعلى (الضالين) ، بينما أثار سؤالًا عن تقديم لفظ الجلالة (الله) على (الرحمن) وعلى (الرحيم) . ولعل الطبري ينشط أحيانًا لذكر أسرار التدبرات والألفاظ دون أوقات أخرى .

ويكفينا أن نأخذ منهجية تقديم الألفاظ بعضها على بعض لنطبقها على سائر الآيات، ونثور تدبرات الآية .

المطلب الخامس: مثار الحذف

الحذف في ألفاظ الآية من مثارات التدبر عند المفسرين، وكثيرًا ما يثير الطبري عليه سؤالًا ويجعل سبب الحذف هو : الاستغناء بما ذُكر عما حُذف، فهو يراعي بذلك سياق الكلام، ومن ذلك أنه أثار سؤالًا على (أنعمت عليهم) فما هو الشيء الذي أُنعم به؟ فقال : "قول الله تعالى: **{صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمۡ غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ}** [سورة الفاتحة:٧] ، قال الطبري : "فإن قال قائل: وأين تمام هذا الخبر، وقد علمت أن قول

---

١ تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١/ ١٦٢).

٢ ــ التفسير القيم ، ص٧٠ .

٣ ــ التحرير والتنوير ، ١٨٦/١ . وانظر أيضًا : تفسير أبي السعود ١٧/١ .

٤ ــ تفسير السعدي، ص٣٩ .

٥ تفسير الطبري، جامع البيان، ط هجر، (٢/ ٥٨٧).

القائل لآخر: أنعمت عليك، مقتض الخبر عما أنعم به عليه، فأين ذلك الخبر، وما تلك النعمة التي أنعمها عليهم ؟

قيل له: قد قدمنا البيان فيما مضى من كتابنا هذا عن اجتزاء العرب في نطقها ببعض من بعض إذا كان البعض الظاهر دالا على البعض الباطن وكافيا منه، فقوله: **{صراط الذين أنعمت عليهم}** من ذلك؛ لأن أمر الله جل ثناؤه عباده بمسألته المعونة وطلبهم منه الهداية للصراط المستقيم لما كان متقدما قوله: **{صراط الذين أنعمت عليهم}** الذي هو إبانة عن الصراط المستقيم، وإبدال منه، كان معلوما أن النعمة التي أنعم الله بها على من أمرنا بمسألته الهداية لطريقهم هو المنهاج القويم والصراط المستقيم الذي قد قدمنا البيان عن تأويله آنفا، فكان ظاهر ما ظهر من ذلك مع قرب تجاور الكلمتين مغنيا عن تكراره"[1] .

فبيَّن الطبري أمرين : سبب الحذف ، وفائدته، فأما سببه فهو تجاور الكلام وقربه، وأما فائدته فلبيان أن الهداية إلى الطريق القويم والصراط المستقيم نعمةٌ من النعم .

ومعلوم أن للحذف فوائد أخرى، منها :

- قد يكون الحذف لقصد العموم كما في قوله : **{وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ}** (البقرة:١٧)
- وقد يكون لقصد التهويل والتفخيم[2] كما في حذف جواب لو من قوله : **{وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ}** (البقرة: ١٦٥)
- وقد يكون القصد من الحذف المبالغة[3]، كما في حذف جواب لو في قوله : **{وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ}** [البقرة: ١٦٥] .

وحذف المتعلق يدخل في باب الحذف، وهو كثير جدًا في القرآن، كحذف متعلق قوله تعالى:{ **وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**} [النور:٥٦]، ليشمل كل ما يأمرهم به الرسول ﷺ[4] .

---

١ تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١/ ١٧٩)

٢ ــ التحرير والتنوير ٩٤/٢ .

٣ ــ المحرر الوجيز ٢٣٥/١ .

٤ ــ التحرير والتنوير ٢٨٩/١٨ .

المطلب السادس: مثار الآيات المُشكل ظاهرها

قد يمر على المفسر آية يشكل ظاهرها، فيثير المفسر عليها سؤالًا تدبريًا، وقد وجدت الطبري يهتم بهذا النوع كثيرًا لما يثيره ذلك من إشكال، ويمكن تقسيم ذلك إلى نوعين :

١ــ آيات يُشكل ظاهرها بذاتها: ومعلوم أن الإشكال نسبي، ويذكر هنا تَجَوُزًا، وإلا فكتاب الله هو المبين، فقوله تعالى: **{وَلَا تَلبِسُواْ ٱلحَقَّ بِٱلبَٰطِلِ وَتَكتُمُواْ ٱلحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعلَمُونَ}** [سورة البقرة:٤٢] فأثار الطبري رحمه الله سؤالًا قال فيه:" فإن قال لنا قائل: وكيف كانوا يلبسون الحق بالباطل وهم كفار، وأي حق كانوا عليه مع كفرهم بالله؟"[١]، فظاهر الآية أثار عند الطبري سؤالًا حول طبيعة الحق الموجود عند الكافرين وحقيقته، فسياق الآية يدل على الإقرار بنوعٍ من الحق عندهم، فما هو هذا الحق؟ وملخص ما أجابه الطبري : أن إقرار المنافقين واليهود والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم هو الحق، وتخصيصهم دعوته بالعرب هو الباطل[٢].

ومثلها أيضًا : قوله تعالى: **{ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ}** **[سورة البقرة:٤٦]**

فأثار الطبري على لفظة {يظنون} استشكالًا، لأن ظاهر الظن أنه " شك، والشاك في لقاء الله بالله كافر؟" ثم أجاب عن ذلك بأن هذا جارٍ على عادة العرب ، فالعرب قد تسمي اليقين ظنا، والشك ظنا، نظير تسميتهم المغيث صارخا، والمستغيث صارخا، وما أشبه ذلك من الأسماء التي تسمي بها الشيء وضده[٣].

والطبري رحمه الله أجاب على قول من يسمي الظن يقينًا، وهو عند بعض العرب، ولم يجب على قول العرب الآخر بأن يكون الظن على بابه؟ ويظهر للباحث أن التعبير في الآية بالظن على بابه للدلالة على استعداد المؤمن للقاء ربه، ففي كل يوم يظن لقاء ربه، فإذا أصبح لم ينتظر المساء، وإذا أمسى لم ينتظر الصباح، ففي التعبير بالظن دلالة على كمال الاستعداد النفسي للقاء الله .

ومما قد يشكل ظاهره قوله تعالى: **{يَٰقَومِ ٱدخُلُواْ ٱلأَرضَ ٱلمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُم وَلَا تَرتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدبَارِكُم فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١}** [سورة المائدة:٢١] فقد أثار الطبري رحمه الله سؤالًا حول كلمة **{التي كتب الله لكم}**، إذ كيف يكون دخول بني إسرائيل مُثبتًا في

١ تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١/ ٦٠٦).
٢ المصدر السابق (١/ ٦٠٦).
٣ تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١/ ٦٢٣).

اللوح المحفوظ مع أن الله قال : **{فإنها محرمة عليهم}** [المائدة: ٢٦] ؟ "[١] . ثم أجاب بجواب مفاده : " إن الأرض المقدسة كتبت لبني إسرائيل دارا ومساكن، وقد سكنوها ونزلوها، وصارت لهم، وكان الذين أمرهم موسى بدخولها من بني إسرائيل، ولم يعن عليه السلام أن الله تعالى ذكره كتبها للذين أمرهم بدخولها بأعيانهم، ولو قال قائل: قد كانت مكتوبة لبعضهم، ولخاص منهم، فأخرج الكلام على العموم والمراد منه الخاص، إذ كان يوشع وكالب قد دخلا، وكانا ممن خوطب بهذا القول، كان أيضا وجها صحيحا[٢].

وقد يكون الإشكال غير متعلقٍ بلفظ الآية إنما بالواقع كما في قوله تعالى: **{ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ٦٦}** [سورة المائدة:٦٦] فمن المعلوم أن واقع التوراة والإنجيل محرفة منسوخة فكيف يأمر الله بإقامتها؟ فبيَّن الطبري أن معنى إقامتهم التوراة والإنجيل وما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم تصديقهم بما فيها والعمل بما هي متفقة فيه، وكل واحد منها في الخبر الذي فرض العمل به[٣]، وهذا يدل على بقاء ذكر النبي ﷺ في التوراة والإنجيل إلى زمن نزول القرآن .

٢ــ آيات يوهم ظاهرهما التعارض :

وهذا يختلف عما سبق بأن التعارض يتوهم وجوده بين آيتين، فيثير الطبري رحمه الله على ذلك سؤالًا تدبريًا يعالج من خلاله إزالة التوهم، ومن ذلك قوله تعالى: **{ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً }** [سورة الإسراء:٩٧] ." فإن قال قائل: وكيف وصف الله هؤلاء بأنهم يحشرون عميا وبكما وصما، وقد قال: **{ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها}** [الكهف: ٥٣] فأخبر أنهم يرون، وقال: **{إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا}** [الفرقان: ١٣] فأخبر أنهم، يسمعون وينطقون؟ قيل: جائز أن يكون ما وصفهم الله به من العمى والبكم والصمم يكون صفتهم في حال حشرهم إلى موقف القيامة، ثم يجعل لهم أسماع وأبصار ومنطق في أحوال أخر غير حال الحشر، ويجوز أن يكون ذلك"[٤].

---

١ تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٨/ ٢٨٦).
٢ تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٨/ ٢٨٦).
٣ تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٨/ ٥٦٢).
٤تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٥/ ٩٣).

والرازي رحمه الله أثار مثلما أثاره الطبري ثم أجاب بقوله : "أجاب ابن عباس وتلامذته عنه من وجوه :

الأول: قال ابن عباس (عُميًا) لا يرون شيئًا يسرهم، (صمًا) لا يسمعون شيئًا يسرهم، (بكمًا) لا ينطقون بحجة .

الثاني: قال في رواية عطاء (عميا) عن النظر إلى ما جعله الله لأوليائه، (بكما) عن مخاطبة الله ومخاطبة الملائكة المقربين، (صم) عن ثناء الله تعالى على أوليائه.

الثالث: قال مقاتل إنه حين يقال لهم: اخسؤا فيها ولا تكلمون يصيرون عميا بكما صما، أما قبل ذلك فهم يرون ويسمعون وينطقون.

الرابع: أنهم يكونون رائين سامعين ناطقين في الموقف ولولا ذلك لما قدروا على أن يطالعوا كتبهم، ولا أن يسمعوا إلزام حجة الله عليهم، إلا أنهم إذا أخذوا يذهبون من الموقف إلى النار جعلهم الله عميا وبكما وصما"[1] .

أما القول الأول والثاني فيتعلقان بأمر معنوي، فالعمى والصم والبَكَم ليسا على الحقيقة، وتسميته عمى وبكمًا وصمما بالنسبة لما يلزم منه، فحيث لا يرون ما يسرهم من نعيم الله لأوليائه فكنهم لم يروا شيئًا .

وأما القول الثالث فيحدد موعد عمي البصر والبكم والصمم بأنه بعد قول الله لهم {اخْسَؤُا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ} ولم يتعرض للمعنى، والقول الرابع هو الذي يتوافق مع لفظ الآية ومعناها .

والمقصود أن يستفاد من الكتب التي جمعت الآيات المتعارضة ظاهرًا لأن تكون ميداناً للتدبر.

المطلب السابع : مثار التوكيد اللفظي

التوكيد اللفظي هو : ما يكون مضمون الجملة الثانية فيه مؤكدًا لمضمون الجملة الأولى لاتفاق مفهوميهما[2]، وهو من مثارات التدبر عند الطبري رحمه الله فإذا كان في الآية توكيدٌ لفظي فذلك يستدعي أن يثير الطبري على ذلك سؤالًا ثم يتدبره ويجيب عليه، كما في قوله تعالى: **{ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ }** [سورة البقرة:٧٩] فهل يكتب الكتاب بغير اليد؟ فأجاب الطبري عن ذلك **بأن المراد :** "أن أحبار اليهود تلي كتابة الكذب والفرية على الله بأيديهم على علم منهم وعمد للكذب على الله، ثم تنحله إلى أنه

١ ــ التفسير الكبير ٤١١/٢١ .

٢ إيضاح البلاغة ، ص١١٥ .

من عند الله، فنفى جل ثناؤه بقوله: {**يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ** }أن يكون وليَ كتابة ذلك بعضُ جهالهم بأمر علمائهم وأحبارهم"[1].

ومن التوكيد اللفظي قوله تعالى: {**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيهِ** } [سورة الأنعام:٣٨] ولهذا أثار الطبري عليها سؤالًا تدبريًا فقال : "فإن قال قائل: وهل يطير الطائر إلا بجناحيه؟ فما في الخبر عن طيرانه بالجناحين من الفائدة؟"[2]، واتفقت عبارة المفسرين في هذا الموضع بأن الفائدة من ذلك التوكيد والمبالغة في الشبه بيننا وبين تلك الأمم، وإحاطة الله بنا[3]. وهذا غالبٌ في الآيات التي فيها توكيد لفظي، ويمكن تطبيق ذلك على عدة آيات كقوله تعالى:

- إعادة لفظة شاربون في قوله : {**فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ**} [الواقعة:٥٤-٥٥]
- إعادة لفظة {**وَأَنَّا** } أكثر من مرة في سورة الجن .
- وإعادة جملة: {**كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ** } [التكاثر٣-٤]

المطلب الثامن : مثار خواتيم الآيات

من مثارات التدبر عند الطبري خواتيم الآيات، فغالبًا ستكون مثار لأسئلة التدبر خاصة إذا ختمت بالأسماء الحسنى، أو صفات معينة، كما في قوله تعالى: { **كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى** } [سورة طه:٥٤] فقال الطبري : "**وخص تعالى ذكرُه بأن ذلك آياتٌ لأولي النهى،** لأنهم أهل التفكر والاعتبار، وأهل التدبر والاتعاظ"[4]. وقريبًا من ذلك ذكره الرازي[5] والشوكاني[6] السعدي[7] .

وأثار الطبري رحمه الله سؤالًا تدبريًا على ختام آية أخرى فقال في قوله تعالى: { **أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً** } [سورة الفرقان:٢٤] "فإن قال قائل: وهل في الجنة قائلة؟ فيقال :﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلا﴾ فيها؟" وأجاب بما ملخصه أن أهل الجنة لا يمرّ فيهم في الآخرة إلا قدر ميقات النهار من أوّله إلى وقت القائلة، حتى يسكنوا

---

١ تفسير الطبري، جامع البيان، ط هجر، (٢/ ١٦٨- ١٦٩).

٢ تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٩/ ٢٣٧).

٣ ــ انظر : المحرر الوجيز ٢٩٠/٢، والتفسير الكبير ٥٢٤/١٢، وتفسير السمعاني ١٠١/٢، وتفسير ابن جزي ٢٦٠/١،وتفسير الزمخشري ٢١/٢، والتحرير والتنوير ٢١٦/٧ .

٤ تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٨٦/١٦).

٥ ــ التفسير الكبير ١١٢/٢٢ .

٦ ــ فتح القدير ٤٣٧/٣ .

٧ ــ تفسير السعدي ، ص٥٠٧ .

مساكنهم في الجنة[1]، فليس المراد أنهم يقيلون فيها إنما لا يأتي وقت القيلولة في الدنيا إلا وقد انتهى حساب الله لأن الله سريع الحساب .

ومثل هذا المثار نافع جدًا في خواتيم الآيات التي ختمت بالأسماء الحسنى كما قال ابن عاشور رحمه الله في بيان سر اقتران العزيز بالحكيم في ختام آية النصر : **{وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}** [آل عمران:١٢٦] قال : "وإجراء وصفي العزيز الحكيم هنا لأنهما أولى بالذكر في هذا المقام، لأن العزيز ينصر من يريد نصره، والحكيم يعلم من يستحق نصره وكيف يعطاه"[2] . ويمكن أن يحتذى حذو ذلك في بيان أوجه المناسبة في الأسماء الحسنى، فيكون ذلك من أعلى مثارات التدبر ورودًا في القرآن .

المطلب العاشر: مثار الآيات المعترضة بين آيات الموضوع الواحد

مما يلفت الانتباه أن الطبري رحمه الله يثير أسئلة على الآيات التي تكون معترضة بين آيات الموضوع الواحد كما في آية الوصية ببر الوالدين داخل وصايا لقمان وهو قوله: **{ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ}** [سورة لقمان١٥-١٦] فقال : "فإن قال لنا قائل: ما وجه اعتراض هذا الكلام بين الخبر عن وصيتي لقمان ابنه؟ " وأجاب الطبري بأن هذه هي وصية لقمان أيضًا لابنه، لكن لما كانت الوصية بالوالدين عامةً استأنف الخبر من الله[3].

ومن أصعب ما مر عليَّ في كتب التفسير مثارًا للتدبر دخول آية الربا بين آيات غزوة أحد في سورة آل عمران، فقال الله في بين آيات الغزوة : **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}** [آل عمران:١٣٠] فاختلف المفسرون في سر ذلك، ولخص أقوالهم الرازي بقوله : "من الناس من قال: لما أرشد الله المؤمنين إلى الأصلح لهم في أمر الدين والجهاد أتبع ذلك بما يدخل في الأمر والنهي فقال: **{يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا}** فلا تعلق لها بما قبلها . وقال القفال: لما أنفق المشركون على جيوشهم أموالا جمعوها من الربا، خيف أن يدعو ذلك المسلمين إلى الإقدام على الربا. وهذه مناسبة مستبعدة. وقال ابن عرفة: لما ذكر الله وعيد الكفار عقبه ببيان أن الوعيد لا يخصهم بل يتناول العصاة، وذكر أحد صور العصيان وهي أكل

---

١ ــ تفسير الطبري ٤٣٣/١٧ .

٢ ــ التحرير والتنوير ٧٨/٤ .

٣ تفسير الطبري – جامع البيان ط هجر (١٨/ ٥٥٤).

الربا. وهو في ضعف ما قبله"[1] . ولصعوبة الأمر رأى العلامة الطاهر بن عاشور بأن المناسبة لا تلزم هنا[2] . والمقصود بيان أن الآيات التي تدخل في ثنايا آيات موضوع واحد هي من أبرز مثارات التدبر فلينتبه لذلك .

١ ــ التفسير الكبير ٦٣٦/٩ .

٢ ــ التحرير والتنوير ٨٤/٤ .

الخاتمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد :

فقد يسر الله لي العيش مع كلام الله من خلال تفسير الطبري رحمه الله كاملًا، فوجدته يثير عددًا من أسئلة التدبر، وهذا من تثوير القرآن، فمثارات التدبر وسيلة لتثوير القرآن.

كما وجدت الطبري رحمه الله لا يثير سؤالًا للتدبر إلا بعد بيان معنى الآية، وبهذا يختلف منهجه عن المناهج التي تقصد التدبر قبل وضوح المعنى، ولهذا يقع الخطأ في التدبرات، كما أني وجدت علاقة التدبر بالمعنى تكون من خلال عدة حالات :

فيكون التدبر باطلًا إذا كان المعنى باطلًا ، كما أن التدبر يكون خطأ إذا لم يكتمل معنى الآية، ويدور التدبر صحة وخطأ بناء على صحة المعنى وخطئه .

وبيَّنت أن الطبري يثير سؤالًا على بعض الألفاظ دون بعض لأهميتها عنده، أو أنه يطرح من التساؤلات ماهو جدير بالطرح وغيره يقاس عليه .

فتتبعت تلك الأسئلة مستخلصًا مثارات التدبر عنده، فوجدتُه رحمه الله يدقق في ألفاظ الآية، فاستنتجتُ عدة مثارات، منها :

- مثار التكرار: فقد تتكرر لفظة في آية مرتين، وقد تتكرر جملة مرتين أو أكثر، فوجدت أن الطبري يجعلها من مثارات التدبر عنده .
- ومثار التخصيص اللفظي : وهذا أكثرها حضورًا في تفسير الطبري حيث يأتي للفظة ذكرت في الآية فيثير عليها سؤالاً عن سبب تخصيص هذا الوصف دون غيره، ومن ذلك :

الآيات التي فيها تخصيص أعضاء دون سائر الأعضاء ، والآيات التي فيها تخصيص وصف دون غيره من الأوصاف .

- ومثار الاختلاف اللفظي في الآية الواحدة: والمراد به أن يكون في الآية لفظةٌ بالإفراد والجمع فيجعلها الطبري من مثارات التدبر، ويثير على هذا الاختلاف سؤالًا تدبريًا .
- ومثار التقديم والتأخير في كلمات القرآن .
- ومثار الحذف، وغيرها .
- ومثار الآيات المشكل ظاهرها .

وأوصي بأمرين :

١ــ استقراء مثارات التدبر عند المفسرين وجمعها وتصنيفها .

٢ــ تطبيق تلك المثارات على الآيات القرآنية الأخرى .

٣ــ العناية بشكل أكبر بتفسير الإمام الطبري إذ فيه من الفرائد العلمية مــا يــستحق أن توجه الجهود لخدمته .